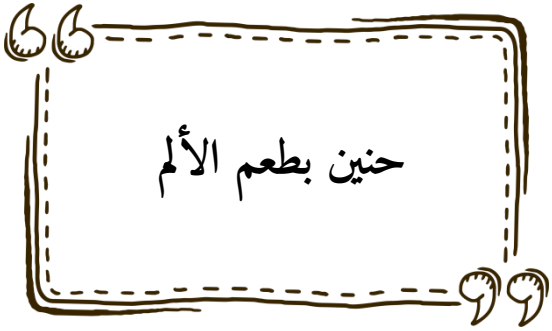
حنين بطعم الألم

يجلس الجميع حول طاولة مستديرة في غرفة الاستقبال في منزل حسان يسيطر عليهم الصمت التام، يترأس تلك الجلسة الشيخ عاطف مأذون الحي، في حضور ابتسام زوجة حسان وابنهما الأكبر علي صاحب الخامسة عشر ربيعًا وأيضًا زوج شقيقة ابتسام وصديق حسان المقرب.

بصوت هادئ حنون يطلب الشيخ عاطف من مدام ابتسام التروي والتفكير مجددًا في طلب طلاقها من حسان ومحاولة التغاضي عن الأسباب التي تجعل من طلبها دواء شافيًا لعلاقة زوجية جريحة استمرت ستة عشر عامًا أسفرت عن إنجابها اثنين من الذكور واثنين من الإناث.

تصمت ابتسام بعض الوقت تحاول أن تتذكر معشر حسان الطيب الحنون ولكن مشهد ضبط زوجها كما ولدته أمه في أحضان فتاة شابة في غرفة نومها جعل من عقلها ونفسها رافضين لمجرد طرح فكرة العدول عن قرارها.

فعندما ذهب أبناؤها جميعًا لرحلة ترفيهية لمدة 24 ساعة استغلت ابتسام هذه المناسبة وذهبت في الصباح الباكر لزيارة والدها وفي فترة الظهيرة كان معاد وصولها المفاجئ حاملة معها أفخم زجاجات العطور وبعض الحلويات باهظة الثمن كهدية لزوجها بمناسبة عيد زواجهما المصادف نفس يوم سفر أبنائها فكانت فرصة رائعة للاحتفال بتلك المناسبة دون وجود مزعج لهما، ولكنها لم تكن تعلم أن الشيطان قد سبقها ووفق عشيقين في الحرام.

لم تجد ابتسام مبررًا للتغاضي عن نزوة زوجها حيث كانت له نعم الزوجة والعون في الحياة وعلى الرغم من إنجابها أربعة أبناء إلا أنها لم تقصر أبدًا في واجباتها الزوجية تجاه زوجها، وجعلته على رأس أولوياتها فهو مقدم على أبنائها في حياتها اليومية.

تتملك ابتسام قشعريرة لا إرادية لبضعة ثوان أمام الحضور كانت بمثابة كلمة الفصل لحياتها الزوجية مع حسان.

- خلاص يا حضرة المأذون كل حاجة بينْنَا انتهت، شوف شغلك بعد الأستاذ حسان ما يرمي اليمين.

- استنى يا شيخ عاطف وقولي لي يا ماما إيبه اللي حصل بينك انتِ وبابا يمكن أقدر أصالحكم علي بعض، أنا خلاص كبرت وبقيت فاهم كل حاجة.

- يا حبيبي أنا وبابا بنحب بعض لكن ما بقاش ينفع أبدًا نعيش سوا في بيت واحد، لكن أوعدك هافضل أنا وبابا أصحاب وهنتواصل مع بعض دايمًا علشانك انت واخواتك.

- معقول يا ماما! هو دا بس السبب؟ علشان خاطري بلاش طلاق وما تزعليش من بابا وأوعدك مش هيزعلك تاني.

بصوت حاد وصريح تصيح ابتسام دون اكتراث بتوسلات ابنها.

- شوف شغلك يا شيخ عاطف.

- لا حول ولا قوة الا بالله، موافق على كلام زوجتك يا أستاذ حسان؟

لم يجد حسان مفرًّا من تطليق زوجته، فعلى الرغم من ندمه على نزوته وطلبه الغفران منها، ليس من أجله ولكن من أجل أبنائهما؛ إلا أن كرامتها الزوجية لم تسمح لها بالتنازل عن مطلبها ولكنها سمحت لها بالتغاضي عن أي ضرر مجتمعي أو نفسي قد يحدث لها أو لأولادها حيث عاطفتها الجياشة المنكسرة جعلتها تهدد باللجوء إلى الخلع أمام محكمة الأسرة، وكشف ستر الله لحسان أمام أولاده وأمام الجميع إذا لم يقم حسان بتطليقها فورًا في تلك الجلسة، فكان الاتفاق الأخير بين الزوجين قبل جلسة الانفصال يقضي بثلاثة بنود.

- تعهد كلاهما للآخر بعدم تشويه الصورة العامة لأي منهما أمام الجميع والحفاظ على المظهر العام بكل رقي وتحضر.

- الاتفاق على مغادرة الزوج مسكن الزوجية ليتحول مسماه المعيشي إلى مسكن أولاده ووالدتهم الحاضنة لهم.

- تعهد الأب بالإنفاق على أبنائه قدر استطاعته.

نظر حسان إلى ابتسام بكل ثبات وأشهر على الجميع يمين طلاقها منه طلقة واحدة والتي تلقتها منه بابتسامة منعشة مصحوبة بزفير أطلقته بالتدريج على عدة مراحل، أما علي فلم يشعر أحد بغصة قلبه وباطنه.

أنهى المأذون إجراءات الطلاق وبمجرد توقيع ابتسام على تلك الأوراق غادر الجميع وكان آخرهم حسان الذي عانق أنجاله بعدها عناق الهدم والفراق.

وما إن انتهى علي من وداع والده حتى ذهب إلى غرفة أبويه السابقة لينظر إليها كنظرة طائر محلق يجهش بالبكاء يسترجع ويحن لأجمل لحظات حياته التي عاصرها في تلك الغرفة قبل بضعة أيام، حيث كان يتنافس والديه على مداعبته واجتذابه إلى أحضانهما دون الاكتراث بمشاعر غيره أشقائه منه، فهو الآن يحتاج إلى من يحنو عليه ويضمد جروحه التي تسبب فيها أبويه، خاصة بعدما بلغت آلامه الباطنة عنان السماء عندما أحس أن من هم المفترض أن يكونا ينبوع الدواء والبهجة والأمان لديه؛ هما مصدر جروحه، فيكون حنينه إليهما معًا حنينًا بطعم الألم.

❋ ❋ ❋